الفصل الثاني

الإسلام والحقائق العلمية الحديثة

وينقسم هذا الفصل إلى:-

المبحث الأول : التزام المنهج العلمي كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية المعاصرة

المبحث الثاني : الولوج فى الأفاق الكونية أصل مقرر شرعا

المبحث الثالث : الجزء التطبيقي (الأقمار الصناعية)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى

الإسلام والحقائق العلمية الحديثة

إذا كانت الخلافة فى الأرض، قد شاءها الله لبني آدم، فإن القرآن الكريم قد أخبر عن السبب المباشر فى أحقية الإنسان لخلافة الله فى الأرض، وهو العلم، فبه فضل آدم الملائكة، وبه استحق هو وذريته أن يعمروا الأرض إلى يوم الدين . نأخذ من قولَه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[١] وقولَه تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[٢]. ولذلك حين نستدعى مصطلح الثورة العلمية، لنعرضه على اللطائف والإشارات القرآنية فسوف نجد بمشيئة الله أنه لا تخرج عن المعنى الذي أراده الله من خلقه فى القرآن الكريم بأن يفجروا الطاقات الكونية ليعمروا الأرض ويصلحوا فيها جيلا بعد جيل وفقا لوسائل كل عصر ووفقاً لنباهة القائمين على القواعد العلمية والبحثية . على أن يقودهم ذلك إلى زيادة الطاقة الإيمانية أخذاً من قولَه تعالى ﴿ وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾[٣]، وقولَه سبحانه : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾[٤] وقولَه ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٥]،فأثاروا الأرض أى فجروا طاقاتها، ونهضوا فيها بالفلاحة والزراعة والصناعة، وتلك هي مقومات التعمير للتمكين فى الأرض لديمومة التعايش الإنساني فى كل الأزمان والعصور،مع اعتبار أن ذلك مقيد بتقوى الله ﷻ فى الاستخدامات العلمية.

وعلى هذا – وبعد عرضنا لاحترام الإسلام للعقل، وتعانقه مع العلم – فإننا نؤكد أن الإسلام يحتضن الحقائق العلمية بكل تقنياتها وفى جميع

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٣١
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣٣
(٣) سورة الروم : آية رقم ٩
(٤) سورة هود : آية رقم ٦١
(٥) سورة البقرة : آية رقم ٢٨٢

مجالاتها، على أن تجلب النفع للبشرية، وتدفع عنهم الضرر، وتكشف إعجاز الله فى الكون والخلق .

وإذا كانت الحقائق العلمية، والتقدم الصناعى، يتطلب احترام المنهج العلمى فى البحث والاستقراء، وفتح الآفاق للعلماء، وتوفير أدوات الطاقة لهم وتأسيس القواعد العلمية الصحيحة فإن الإسلام من خلال أصوله الفكرية، يتبنى هذه المرتكزات ويدعوا إلى التقدم التكنولوجي[١] فى كل المجالات . لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يشيران فى نصوصهما إلى الأسس الصحيحة للمنهج العلمى، فى العلوم الكونية والعلوم الإنسانية .

كما ضمنا مفاتيح العلم فى المجالات المختلفة، كعلوم الفضاء، وعلوم الطاقة الأرضية، وعلوم البحار، وعلوم الإنسان، من أجنة، ووراثة وتشريح، وخلايا وجينات، وعلوم الطب، وغير ذلك . وإن ظهر فى الأفق فى السنوات الأخيرة اهتمام بعض الدول العربية والإسلامية بالحقائق العلمية والتكنولوجيا فدخلت فى مجال الأقمار الصناعية كنموذج لعلوم الفضاء[٢]، فإن ذلك يبشر بمستقبل مشرق وعود لمنهج الإسلام فى إعلاء العلم ونبذ التخلف والجهل .

ولذلك فالكلام فى هذا الفصل يقتضي عرض موقف الإسلام من مرتكزات التقدم العلمى، ومن ولوج العلم الآفاق الكونية مع اتخاذ الأقمار الصناعية المصرية كنموذج تطبيقي للانتفاع بمسخرات الله فى الكون وتفعيلها لخدمة المسلمين وأعرض ذلك إن شاء الله.

---

(١) التكنولوجيا مصطلح حديث يعبر عن الدقة فى العلوم التجريبية، وابتكار آليات جديدة للاستخدامات الدقيقة سواء فى مجال الصناعة والاتصالات وفى علوم الطب والإنسانيات . وأصل الكلمة من مقطعين : أحدهما : تكنو، ومعناها صنعة، الثاني : لوجوس ومعناها الكلام، أى الأفكار المرتبة المحددة المعانى، ويعنى هذا أن تسمية هذا العصر بعصر التكنولوجيا إنما يرجع لتطور العلم فيه بحيث أصبحت صناعة سكرة علما قائما بذاته، أو بمعنى آخر، إن التكنولوجيا أو التقنية، منهج حديث فى التفكير العلمى، أطلق عليه " حقيقه علمية " لأنه يعتمد على أن الأجهزة هى التى تلعب الدور الرئيسى فى نقل العلم النظرى إلى التطبيق العملي ادور التحكم .

(٢)أطلقت مصر حتى الآن قمرين صناعيين لاستخدامات الاتصال فى مجال الإعلام ونقل المعومات .

المبحث الأول

التزام المنهج العلمى كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

التزام المنهج العلمى كأحد مرتكزات التعرف على الحقائق العلمية

إذا كان السبق فى البحث العلمى يتطلب منهجا سديدا يقوم على الدقة فى المعلومة وتصور الموضوع، وتنوع المعارف ذات الصلة بمجال البحث، والإمساك بخيوط المادة العلمية حتى تأتى النتائج وفقا للمقدمات، فإن أسس المنهج العلمي فى الفكر الإسلامي لا تخرج عن هذا الإطار . بل لا نبالغ إذا قلنا بأن الفكر الإسلامي هو أول من نبه إلى الالتزام بالمنهج العلمى فى البحث لتأتى النتائج وفق المقدمات والمقاصد، ويمكن رصد أسس المنهج العلمي فى الإسلام فيما يلى:

١- أخذ المادة العلمية، من المصادر الموثوق بها لتحرى الصدق فى المعلومة والبناء على المرجعية الصحيحة . وقد نبه إلى ذلك كل من القرآن والسنة، ففى القرآن قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾[١] فالسداد : هو الصواب فى القول والصدق فى الخبر، ومنه قولَه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٢]. ذلك أن الصواب فى الأقوال، والصدق فى المعلومات، يحيط العمل والبحث بالصلاح، لذلك قال تعالى بعد آية الأحزاب: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[٣] .

أما الاعتماد على المعلومة المزيفة، والخبر الكاذب، ففيه إهدار لقيمة العلم وتزييف للنتائج مما يتولد عنه الفساد فى الفكر والمنهج .

وقد وضع الله ﷻ هذا السلوك موضع الذم فى القرآن الكريم فقال

(١) سورة الأحزاب : آية رقم ٧٠
(٢) سورة التوبه : آية رقم ١١٩
(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٧١

تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١]، أى أنهم يتلقون كلام الله فيغيرونه بكلام من عند أنفسهم وينسبونه إلى الله . فهذا نوع من تغيير الحقائق وزيف المعلومات والكذب فى النقل لغرض خبيث، فاستحق القائم به التهديد والوعيد، فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٢] .

فأشارت الآية إلى اللجوء إلى الزيف للكسب السريع، يكشفه الله ويفضح صاحبه، ومآله الهلاك والبوار، وإذا كان منطوق الاية يجرم الكذب على الغير ونسبة ما لم يقله فمفهومها يجرم بالأولى نسبة المرء لنفسه علم غيره .

أما فى السنة : فقد حث الرسول – ﷺ – على الصدق فى نقل الأخبار وإذاعة المعلومات ونشرها . ففى الصحيح أن الرسول – ﷺ – قال (إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا)[٣] فى نفس الوقت حذر من الكذب فى العلم، والتزييف، فى المعلومات،فقد روى البخارى عن سلمة قال "سمعت النبى – ﷺ يقول : من يقل على مالم أقل، فليتبوا مقعده من النار"[٤]فجعل الرسول ﷺ الكذب فى مصدر المعلومات سبب للقرار فى النار .

وشبيهه ما رواه على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٧٥

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٧٩

(٣) رواه البخارى (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)، رياض الصالحين ص ٦٠ طبعة دار الفكر العربى

(٤) البخارى مع الفتح، ج١، ص ١٦٣، كتاب العلم

يقول : " لا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار "[١] .

فيؤخذ من هذا أن الكذب فى العلم وتزييف الحقيقة، أخطر أنواع الكذب لما ينتج عنه من أضرار، ولذلك شدد فيه كل من القرآن والسنة، حماية للمصادر العلمية وضمانا لحقوق، العلماء، وصونا للابتكار من السطو عليه وفى هذا إشارة لقانون حماية الملكية الفكرية المعاصر .

وفى هذا إشارة كافية، إلى المنهج الإسلامي .

٢- من أسس المنهج العلمى فى الإسلام، أن يهدف البحث العلمى إلى التوصل إلى الحقائق العلمية التى تخدم الدين والدنيا . سواء حصل العلم عن خبر صادق أو استدلال صائب .لأن العلم إما نقل مصدق، أو استدلال محقق . وقد أشار ذلك القرآن الكريم فى أكثر من موضع . منها:

أ- قولَه تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] فهذا خبر يحمل علما يقينيا مصدقا بذاته، لأن الذى أعلمنا به هو الله ﷻ بنفسه فقدم العلم قبل الحقيقة ليشير إلى منهج فريد وهو أن باب الوصول للحقائق واليقين هو العلم . ولذلك صنف البخارى رحمه الله هذه الآية فى كتاب العلم تحت عنوان (باب العلم قبل القول والعمل)[٣]

ب- أما منهج الاستدلال، فأشار إليه قولَه تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[٤] وقولَه سبحانه : ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ

---

(١) البخارى مع الفتح، ج١، ص ١٦١
(٢) سورة محمد : آية رقم ١٩
(٣) البخارى مع الفتح، ج١، ص ١٣٠، كتاب العلم
(٤) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٥

حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] وقوله ﷻ : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[٢]

فهذه جملة معارف كونية تدرَك بالنظر والتأمل، مما يقتضى أسرارها لكشف إعجازها العلمى، للوصول فى النهاية إلى حقيقة يقينية، وهى وحدانية الله وطلاقة قدرته.

والتأمل وتقصى الحقائق العلمية، وتقليب النظر فى ملكوت السموات والأرض لإدراك الإعجاز الإلهى فيهما، لا ينهض به إلا العلماء، فكأن القرآن الكريم دفعهم إلى المنهج الاستقرائي[٣] لقيام الحجة والبرهان على أن مدبر الكون هو الله،وأن الانتفاع بمسخرات الله فى الكون لا ينال إلا بالعلم.

وقد أيد الله ﷻ هذا المبدأ بقوله تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[٤] فإن من أوتى علما، بالنظر فى الآيات الكونية والاستدلال السديد، يتيقن أن ما أنزل إلى سيدنا محمد ﷺ حق وصدق[٥]، ومن هذه المسلمة ندرك أن المنهج العلمى فى الإسلام يتميز بأنه يضع نصب عينيه الوصول للحقائق .

٣- من أصول المنهج العلمى فى الإسلام التراكم المعرفى، وتنمية المعلومات فى مجال التخصص للإحاطة بمفردات المادة العلمية، وإجراء التجارب عليها مرة بعد أخرى حتى ينتهى إلى النتائج المرجوة .

---

(١) سورة النمل رقم ٦١

(٢) الفروج والتقوب والفتوح، من فرجت بين الشيئين فرجا، فتحت، ويقال : الفرجة فى الحائط أى الخلل، والمراد أن الله ﷻ أحكم بناء السماء فلا يرى فيها ثقوب أو خلل، المصباح المنير، ص ٤٦٥ .، سورة ق الآية رقم ٦

(٣) الاستقراء : تتبع أفراد الشيء لمعرفة أحواله، وخواصه المصباح المير، ص ٥٠٢

(٤) سورة سبأ آية رقم ٦ .

(٥) تفسير الرازى، ج ١٢، ص ٦٤٠ .

ويقصد بالتراكم المعرفى النظر فى علم السابقين للاستفادة من التجربة للتخلى عن أوج القصور، وتزكية أوجه الإيجاب، كما يقصد به قراءة المادة العلمية أكثر من مرة لاستيعاب المعلومة وتصورها فى الذهن، وقد أشار إلى الأولى القرآن الكريم، فى قولـه تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ ﴾[١] .

ففى الآية يذكر الله قوما بقوم يذكر اللاحقين بالسابقين فرغم أن السابقين أوتوا عناصر التمكين فى الأرض، وهى القوة الجسمية والقوة المالية، والقوة الإنشائية، والقوة الزراعية، فأثاروا الأرض وعمروها وشيدوا الحصون والموانع، إلا أنهم لم ينتفعوا بعلمهم فيها للوصول إلى نعمة الدين، فكذبوا بآيات الله، فلم تغن عنهم أموالهم، ولا عمائرهم، فأهلكهم الله .قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٢] .

فإذا ذكر اللاحقون علم السابقين، وعرفوا أوجه القصور في منهجهم، فتداركوها، وبنوا علمهم على تقوى من الله ﷻ، نفعهم الله بعلمهم وزادهم فيه، أخذا من قولـه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٣] .

أما قراءة المادة العلمية أكثر من مرة وتكرارها لتستقر فى الأذهان، كوسيلة للتراكم المعرفي . فقد أشار إليها حديث أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ، أنه (كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه)[٤]

وفى هذا إشارة واضحة على أن التراكم المعرفي ضرورة من ضرورات المنهج العلمي لاستيعاب الفكرة فى الذهن، لتصور حقيقتها وكنهها.

---

(١) سورة الروم آية رقم ٩.
(٢) سورة الروم آية رقم ١٠ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ .
(٤) البخارى مع الفتح، جزء١، صفحة ١٥٣ .

ولذلك عنون الإمام البخارى لهذا الحدث بقوله "باب إعادة الكلام ليفهم عنه "[١] وهذا دليل ساطع على أن المنهج العلمي فى الإسلام يحث إعادة الفكرة وطرحها أكثر من مرة، وتكرار التجربة مرة بعد أخرى ومراجعتها علميا للتأكد من صحتها .

٤- مما يميز المنهج العلمى فى الفكر الإسلامى، قيامه على الاستنباط[٢] سواء عن طريق أعمال الأدلة فى العلوم النظرية، أو إجراء التجارب والتحليل المعملى فى العلوم التجريبية، للتأكد من سلامة النتائج وإصابة الأحكام .

وقد أشار إلى الأولى قولَه تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٣] وقولَه ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤] .

ففي الآيتين توجيه للرسول الله ﷺ أن يستخدم البراهين الحية، والأدلة القائمة لحمل المعاندين على الإقرار بوحدانية الله تعالى والتسليم بتفرده بتدبير أمر الكون، أرضاً وسماءً، شمساً، وقمراً.

ونفس المنهج متبع فى العلوم الشرعية، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥]

فالأمر بالاجتناب فى الآية يقتضى ترك الفعل تركا جازما وطلب الترك الجازم يدخل الفعل دائرة التحريم، فكانت الخمر وصواحبها حراماً .

---

(١) البخارى مع الفتح ج١ ص١٥٢

(٢) الاستنباط، استخراج الحكم بالاحتهاد . المصباح المنير، ص ٥٩١

(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٦١

(٤) سورة العنكبوت : آية رقم ٦٣

(٥) سورة المائدة : آية رقم ٩٠

أما العلوم التجريبية، فقد أشار القرآن الكريم إلى التجديد فيها، بالتحليل، والبحث، للبلوغ إلى أقصى فائدة . من ذلك قولَه تعالى فى عسل النحل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] وقولَه تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ دعوة للبحث فى عسل النحل، وإجراء التجارب هادئة لاكتشاف طرق الاستشفاء به، فكأن القرآن الكريم يدفع علماء الطب والصيدلة لتجديد فى علوم عسل النحل لاكتشاف الجديد . ولذلك جاء عجز الآية لقوم يتفكرون، ولقد أثبتت كافة الأبحاث التجريبية، على عسل النحل أنه من أهم المواد فعالية فى معالجة أكثر من مرض، وإمداد الجسم بالقوة المناعية، ليقوى على صد الميكروبات والجراثيم[٢] .

ومن ذلك أيضا مالفت إليه القرآن، فى مجال الفضاء والبحوث الفلكية لدفع علماء الفلك والفضاء إلى تقصى الحقائق العلمية فى الكون . تجد ذلك فى قولَه تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[٣]، وقولَه سبحانه: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾[٤] وكذلك قولَه ﷻ : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٥] فهذه المعارف القرآنية تحوى إشارات كونية سيقت لدفع العلماء إلى التعلق بأبحاث الفضـــاء لإطلاق آليات حديثـــة (كالأقمار الصناعية والمراكب الفضائية) للاستفادة بما فى الكون لتحقيق أقصى نفع لمصلة الدين والدنيا .

---

(١) سورة النحل : آية رقم ٦٩

(٢) الإعجاز العلمي فى الإسلام، القرآن الكريم، محمد كامل عبد الصمد، ص ٢٤١

(٣) سورة فصلت : آية رقم ٥٣ .

(٤) سورة الرحمن : آية رقم ٣٣ .

(٥) سورة يس : آية رقم ٣٨/٤٠ .

٥- إذا كان معرفة الحقائق العلمية تعنى بالمستقبل وتطوير آليات العلم فإن المنهج العلمي فى الفكر الإسلامي يقوم على غرس روح الابتكار والسبق فى المسيرة العلمية، واستشراف[١] المستقبل للنهوض بالبحث العلمي .

ولعل هذا ما ترمز إليه الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] فالآية تثير في النفس الإنسانية، أن خزائن العلم عند الله عظيمة، وأسراره كثيرة، ومهما أوتى الإنسان من علم في أى عصر من الإعصار فهو قليل سمح به العليم ﷻ على قدر الجهد، والإخلاص فى البحث، ولذلك فالآية دعوة للتقدم فى معرفة الحقائق العلمية لتطوير إليه السابقون، لينال كل جيل من العلم، بقدر ما تفضل الله به من خزائن علمه، كما تضع الآية قاعدة مهمة فى مجال الحقائق وهى أن كل علم مهما زاد لابد أن يكون قد سبقه جهل، فالتقدم فى معرفة الحقائق يكشف مجالات علمية لم تكن معلومة قبل كشفها، فكأن من كشفها كان جاهلاً فيها ثم أصبح بها عالماً بعد كشفها، ولولا فضل الله عليه ما هيأ له الوقوف عليها . وقد أيد القرآن الكريم هذه القاعدة بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٣] .

ولئلا يغتر أحد بعلمه، كانت مشيئة الله، أن جعل النفس الإنسانية جاهلة بالفطرة حتى تكتسب العلم بالقلم والخط وبما أودع الله فيها من قوى العلم أخذا من قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٤] . فالمتأمل

---

(١) الاستشراف رفع البصر للتطلع والنظر يقال استشرفت الشيء رفعت البصر أنظر إليه . المصباح المنير ص ٣١٠، ومعنى استشرق المستقبل أى النظرة المستقبلية فى العلم للتطلع إلى التجديد فيه فى البحوث المختلفة والابتكار .

(٢) سورة الإسراء : آية رقم ٨٥ .

(٣) سورة النساء : آية رقم ١١٣ .

(٤) سورة النحل : آية رقم ٧٨ .

فى هذه الآية يدرك جيدا أنها ترمز إلى خدمة البحث العلمي، لأنها ترتب قوى العلم فى الإنسان ليواكب بها التقدم فى معرفة تلك الحقائق.

فبدأ بالقوى الحساسة الناقلة، وهى السمع، مما يدل على أن السماع أول طور فى المعرفة، ثم القوى المدركة وتختص بالنظر والتأمل والمشاهدة، وهى الأبصار: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١]، ثم القوى العاقلة، التى تعقل الفكرة، وتقلبها من الوجوه[٢] لاستخلاص زبده الرأى فيها، وهى الأفئدة . مما يشير إلى أن من فضل الله على الإنسان، أنه أودع فيه، قوى النقل، والمشاهدة والتعقل، ليدفعه دفعاً إلى تطوير علمه وتجديده فكره لينهض بكل حديث جديد .

٦- من المبادئ الأصلية، فى الفكر الإسلامى إطلاق الحرية للعقل للتدبر والتأمل فى آليات الكون والتفاعل مع كل جديد ومحاكاة الواقع، لتحديث العلوم، ومواكبة العصر . بعيدا عن التقليد البغيض، والتعصب الأعمى .فالمنهج الإسلامى ينبذ الانغلاق وانطواء النفس . ولعل هذا ما يشير إليه قولَه تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[٣] .

فهذه دفعة للعقل أن ينطلق، ويعقل الأشباه، والأمثال، ليجدد ملكاته ويحلل الأفكار لاستخلاص أفضل النتائج، حتى يمكن أن يصنف صاحبه ضمن العلماء . لأن الانغلاق يشد إلى الجهل والله تعالى يقول ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤] .

فالعلم حكمة يؤته الله العقلاء الذين أعملوا عقولهم لخير البشرية، ولم يقفوا عند التقليد، أو التصعب . قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن

(١) سورة يونس آية رقم ١٠١
(٢) تفسير القرطبى، الجزء ٥، صفحة ٣٨٧٧ .
(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٣
(٤) سورة الزمر : آية رقم ٩

يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] .

ذلك أن أتباع منهج التقليد والتعصب فى العلم يقتل الطموح، ويعوق التقدم وقد ذم القرآن الكريم، التقليد والتعصب من هذا الوجه. لأنهما يحدان من التطلع إلى الجديد فى العلم . ويركنان إلى القديم حتى وإن كان باطلا، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[٣] قال القرطبي : قوة ألفاظ هذه آيات تعطى إبطال التقليد الأعمى لأنهم احتجوا لتركهم ما أنزل الله على رسول الله ﷺ، وأمر به فى دينه بأنهم يتبعون ما وجدوا آباءهم عليه اقتداء بهم[٤] رغم أن ما أنزل على رسول الله ﷺ هو الحق الذى يخرجهم من ظلمات الجهل إلى النور، الإيمان، فآفة التقليد ركنتهم إلى الباطل وأعمتهم عن الحق، فلم يصبهم التقدم ولم تدركهم نعمة الإيمان .

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٥]، ولذلك فالتقليد المرفوض فى الفكر الاسلامى هو التقليد الذى يجر إلى الجهل ويوقع فى الضلال ولهذا كان ذم الله للكفار فى الآيتين، لإقتدائهم بالباطل، فكأن المقلد هنا جعل زمام أمره لمن يقوده حيث شاء، وهو بهذا قد غل عقله وأطفأ توقده فاستحق أن يكون من الجاهلين، لأن التقليد فى الباطل ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له[٦] .

---

(١) سورة البقرة : اية رقم ٢٦٩

(٢) سورة البقرة آية ١٧٠

(٣) سورة المائدة : آية رقم ١٠٤

(٤) تفسير القرطبى، ج١، ص ٦٩٨

(٥) سورة الرعد آية رقم ١٩ .

(٦) المرجع السابق، ص ٦٩٨،٦٩٩ .

أما التقليد فى الحق، والاقتداء بالأسوة الحسنة، فى أمور الدين، فهو أصل مقرر شرعاً لقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ ﴾[١]، لأنـــه اقتداء موصـــل إلى الحق والعلم .

٧- من أسس منهج البحث العلمى فى الفكر الإسلامى طرح المسألة لاختبار الإفهام فيها، لإثارة النشاط الذهنى للسبق فى الوصول لأفضل النتائج . وقد أشار إلى هذا النهج قولَه تعالى: ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰؤُلآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[٢]، فكان هذا بمثابة اختبار للملائكة .

قال المبرد : معنى صادقين عالمين . أى أخبروني، إن كنتم عالمين بأسماء ما عرضته عليكم من المسميات، فكان جوابهم : لا علم لنا بها، لأنه لم يكن لهم سبق علم فيها . فتوقفوا . بينما فاز بالجواب آدم عليه السلام، لسبق علمه بها بإلهام الله تعالى لَه ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[٣]

واستنبط القرطبى: من الآية مبدءاً علمياً سديداً، وهو أن من سئل عن علم فلم يعلمه أن يقول : الله أعلم، أو يقول: لا أدرى . اقتداء بالملائكة فى هذا الموضع[٤] لأن من أجاب فيما لم يعلم، لا يؤمن صدقه ولا أمانته فى العلم.

وفى السنة : ما رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رســـول الله ﷺ: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثونى ما هى ..؟ فوقع الناس فى شجر البوادى،

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢١ .
(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣١ .
(٣) سورة البقرة : آية رقم ٣١ .
(٤) تفسير القرطبى، الجزء١، صفحة ٣٢٩ .

قال عبد الله : ووقع فى نفسى أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هى يا رسول الله، قال هى النخلة[١] .

فالشاهد فى الحديث: قولَه (فوقع الناس فى شجر البوادى) وهو إشارة إلى أن من طرحت عليهم المسألة ذهبت أفكارهم فى أشجار البوادى فجعل كل منهم يفسر الشجرة بنوع منها، ما يرمز إلى أن التواصل إلى النتائج الصحيحة إنما يسبقه إثارة أذهان طلاب العلم بامتحانهم فيما يخفى عليهم، مع كشف الجواب لهم إن لم يفهموه، مما يساعد على استقرار المعلومة فى الأذهان .

قال البغوى :(فى الحديث دليل على أنه يجوز للعالم أن يطرح على أصحابه ما يختبر به علمهم)[٢] .

٨- تداول العلم، ومناولته لتوسيع دائرة الاستفادة منه، فإبلاغ الناس بالعلم النافع أصل من أصول المنهج الإسلامى لما يتعلق به من نشر أمور الدين والدنيا . ولأن الإسلام رسالة عالمية فإن منجهه فى بث معارفه للعالمين هو البلاغ، والتلقى. أى الإفادة، والاستفادة، ولن يكون داك إلا بتداول المعلومات عن طريق أدوات العصر العابرة للحدود كالبث الفضائى، وشبكات الاتصال الأخرى كالفاكس والإنترنت وغيرها .

والشواهد القرآنية والأحاديث النبوية : كل منها تشير بوضوح إلى أهمية تداول العلم ونشره بين الناس لتحقيق الخير للبشرية،سواء كان علماً نظرياً أو تجريبياً . من ذلك قولَه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣] فالبلاغ نشر العلم بما أنزل الله للعالمين ونقله من جيل ليبقى

(١) البخارى مع الفتح، جزء١، صفحة ١١٩ .
(٢) شرح السنة، ج١، ص٣٠٨
(٣) سورة المائدة : آية رقم ٦٧

الانتفاع به موصولا ونظيره قولَه تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[١]، ولن يتم تداول العلم إلا بأخذه من مصدره الأول ونقله إلى من بعده، ومن بعده ينقله للغير، وهكذا ..... وإذا كان ذلك هو الطريق فى السابقين، فإن أدوات العصر يمكن أن تلعب هذا الدور للمعاصرين، وقد نبه الله ﷻ إلى هذا المبدأ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[٢] .

قال البغوى : الأمر عام فى حق أهل زمانه ومن جاء بعدهم، ولا وصول إلى من بعدهم إلا بالتبليغ[٣]، أى قولَه تعالى: (فخذوه) خطاب لأهل كل عصر أن يتداولوا العلم بالوسائل المعاصرة، ولذلك لما خطب الرسول ﷺ فى الناس لينقل إليهم رسالة الإسلام . قال : (فليبلغ الشاهد الغائب)[٤]، وهذا الغائب بنقل المادة العملية إليه صار شاهدا فيلزمه إبلاغ الغائب، ممن بعده وهكذا، ولأن الإسلام دين عالمي فلابد أن تكون رسالته منفتحة على الآخرين للوقوف على النافع المفيد لتحقيق أقصى خير للمسلمين فى أمور المعاش، تحقيقا لمقاصد الشرع فى مصالح الخلق، أشار إلى ذلك قولَه تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾[٥]

قال القرطبى : هذه الآية أصل فى وجوب طلب العلم[٦]. ولأهمية البلاغ فى أمور العلم حث الرسول ﷺ على تحريك المعلومة للغير بعد تصورها ووعيها فقال: (نضر الله عبدا سمع مقالتى فحفظها،

---

(١) سورة النحل : آية رقم ٤٤
(٢) سورة الحشر : آية رقم ٧
(٣) شرح السنة، ج١، ص٢٣٥
(٤) شرح السنة جزءا ص ٢٣٥
(٥) سورة التوبه : آية رقم ١٢٢
(٦) تفسير القرطبى، ح٤،ص٣٢١٩، ٣٢٢٠

ووعاها، وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[١] .

قال الخطابي : (فيه دليل على كراهية اختصار الحديث (العلم) لمن ليس بالمتناهي فى الفقه، لأنه إذا فعل ذلك قطع طريق الاستنباط، والاستدلال)[٢] .

والمعنى المقصود أن الحديث ينبه إلى أن حبس العلم ووقفه على من سمعه فقط أو قصره على بحث معين فى العلم التجريبى مثلا، يؤدى إلى قطع الاجتهاد، ووأد العلم، مما يؤدى إلى التخلف عن مواكبة العصر، والوقوف عند القديم : وعدم وصول العلم إلى آخر القرون من الأمة . وهو ما دعا رسول الله ﷺ أن يقول: (فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) . لأن المتلقى من السامع ربما يكون أوسع إدراكا وتصورا للمادة العلمية، وأقوى ملكة فى التأمل والتحليل، فيكون أنفع فى البحث العلمى، وهو ما يستدعى وجوب نشر العلم وتداوله، دون الإخلال بحق الملكية الفكرية .

فالنشر والتداول إنما يكون للنتائج، ليبنى عليها الآخرون بحوثهم واستنباطاتهم، ليبقى التواصل العلمى جيلا بعد جيل . وتشجيعها لهذا، كان دعاء الرسول ﷺ، بالنضارة لمن يناول العلم وينقله للآخرين . وإذا كانت النضارة حسن الوجه والبهجة فالمراد بها هنا حسن الجاه والقدر فى الخلق[٣] فى نفس الوقت حذر ﷺ من سوء عاقبة من حبس العلم وأمسك عن الإخبار به وإظهاره .

---

(١) سنن أبى داود مع المعالم، ج٤،ص١٧٢، كتاب العلم

(٢) معالم السنن،شرح سنن أبى داود لأبى سليمان حمد بن محمد الخطابى، المتوفى سنة ٣٨٨هـ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، جزء٤، صفحة ١٧٣

(٣) شرح السنة للبغوى، جزء١، صفحة٢٣٦

ففى رواية أبى داود عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)[١] .

قال الخطابى: والمعنى : (أن الملجم لسانه عن قول الحق، والإخبار عن العلم والإظهار له يعاقب فى الآخرة بلجام من نار[٢] .

٩- من ملامح المنهج العلمى فى الإسلام لتشجيع التقدم فى العلم بكل توجهاته، ومجالاته، الاعتراف بالفوارق الذهنية، وتقدير النابهين وتشجيعهم ورصد المكافآت لإعانتهم على السير فى البحوث العلمية لتحقيق أقصى خير للبشرية .

وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣]. وقوله سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٤]

المعنى : أعطوا العلم، لتعلقهم بأداوته، وتطلعهم إلى البلوغ فيه مبلغا عظيما . فإن من تعلق بشيء ناله . أخذا من تأتى له العلم أى تسهل له، وتيسر[٥] مما يدل على تفاوت منازل العلوم، وتفاوت أربابها . ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[٦]

قال الأصفهانى : فعليم، يصح أن يكون إشارة إلى الإنسان الذى فوق آخر فى العلم[٧] . وهو ما يرمز إليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ

---

(١) سنن أبى داود مع المعالم، جزء٤، صفحة١٧١
(٢) معلم السنن، حزء١، صفحة١٧١
(٣) سورة الزمر : آية رقم ٩
(٤) سورة المجادلة : آية رقم ١١
(٥) المصباح المنير صفحة ٤٠
(٦) سورة يوسف : آية رقم ٧٦
(٧) المصباح المنير، صفحة ٤

عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[١] قال الإمام الغزالى رحمه الله: (هذه الآية تنبيه على اقتدر على عرش بلقيس – قبل تمام طرفة العين – بقوة العلم[٢] ولا غرابة فى ذلك، لأن هذه الطفرة العلمية لمن عنده علم الكتاب إنما كانت بإلهام الله تعالى، فاستعمل فيها قانون (كن فيكون) وفى هذا أقوى إشارة إلى أن المنهج العلمى فى الإسلام يتميز بأنه ذو طابع إيمانى يقوم على جلب المنفعة، ودرء المفسدة ليقيم أمر الدين والدنيا معا . لأن مبناه على الحكمة، والهدى، للسعادة فى الدنيا والآخرة . مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٣] .

وقول الرسول ﷺ : (**الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها**)[٤]

---

(١) المفردات فى غريب القرآن، صفحة ٣٤٤

(٢) إحياء علوم الدين، جزء١،صفحة٢٧

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩

(٤) سنن ابن ماجة، جزء٢، صفحة ١٣٩٥

obeikandl.com

المبحث الثانى

الولوج فى الآفاق الكونية أصل مقرر شرعا

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثانى

الولوج[١] فى الآفاق الكونية أصل مقرر شرعا

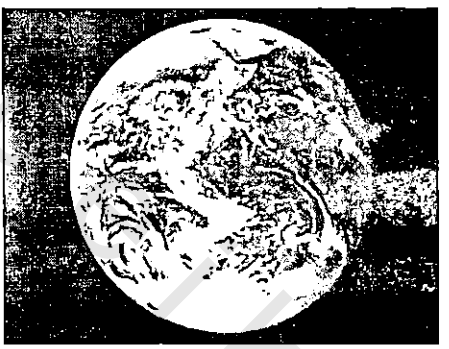

إذا كانت الحقائق العلمية والتقدم التكنولوجي، يرتبطان بإعمال العقل، والزيادة فى العلم وسداد المنهج العلمى، فإن الإسلام يذكى العقل بالتأمل والتفكر[٢] وينمى العلم بفرض طلبة[٣]، والحث على الاستزادة منه[٤]، فى الوقت الذى وضع فيه للعلماء أسس المنهج السديد، للترقى لمدارج الكمال فى العلم وفقا لسلطان الله تعالى .

وإذا كان الله ﷻ، قد خلق الكون أرضاً وسماءً، ودبر أمره بإتقان، وصرف آياته بإحكام، وجعله محطا لمنافع العباد، وفقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٥]

ثم خلق الإنسان وذرأ فيه قوى الإدراك والعلم، كالسمع والبصر والفؤاد، أخذا من قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا

---

(١) الولوج الدخول، من ولج ولوجاً أى دخل، ومنه قوله تعالى: (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) (سورة لقمان:٢) مختار الصحاح، صفحة ٧٣٥

(٢) كقوله تعالى : (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيىء الأعراف : ١٨٥

(٣) لقول الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

(٤) لقوله تعالى : (وقل رب زدنى علما) سورة طه : الآية رقم ١١٤.

(٥) سورة البقرة : الآية رقم ١٦٤ .

مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[١] .

ثم أخضع لَه هذا الكون وسيده عليه لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٢] .

تأسيسا على إذنه سبحانه لَه بحق الانتفاع بالكون فى مجموعة، تدعيما لحق الخلافة وضمانا لاستقرار المعيشة وهو ما أعلن عنه قولَه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[٣]، وقولَه تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾[٤] مما يتحتم معه أن تكون هناك صلة بين الكون المسخر بإرادة الله، وبين الإنسان المنتفع به بإذن من الله . ليؤدى كل منهما مهمته وفق ما خلق لَه . لتستقيم أمور المعاش والمعاد، وشاءت إرادة الله، أن تكون هذه العلاقة بين الإنسان، والكون علاقة تأمل وعلم[٥] لذلك ربط سبحانه بين الانتفاع بمسخرات الكون فى القرآن الكريم وبين العلم فى قولَه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٦] .

إلا أن سيادة الإنسان ليست على الكون فقط وإنما سيده الله ﷻ على جوارحه أيضاً، فإن شاء أن يدفعها إلى الخير ويمسكها عن الشر فإنما هى إرادته، وإن دفعها لأن تجترح السيئات فإنما ذلك باختباره . قال تعالى :

---

(١) سورة السجدة : الآية رقم ٩.
(٢) سورة النحل : آية رقم ١٢
(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٩
(٤) سورة الحجر : آية رقم ٢٢
(٥) أخذ من قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(سورة الروم: الاية رقم ٨) .
(٦) سورة يونس : آية رقم ٨

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] ومن منطق سيادة الإنسان على نفسه، لفت الله ﷻ نظره إلى التأمل فى كينونته ليدرك إعجاز الخالق فى شرائحه[٣] وخلاياه فيخضعها إلى البحث والتحليل، ليصُون سلامتها، ويركب لَه الدواء المناسب لصد الأمراض عنها .

قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤]

ولأمر ما جمع الله ﷻ بين خلق السموات والأرض، وبين خلق الإنسان فى آية واحدة، ليشير إلى ترابط العالم الكوني، والعالم الإنساني، وأن كلا منهما لاغنى لَه عن الآخر .

فقال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥]، مما يدل على أن الإعجاز الإلهي فى الخلق شمل الكون الأراضى، والكون الفضائى، والكون الإنساني .

وهو ما نشأ عنه تعدد المعارف الكونية، والإنسانية، فى القرآن الكريم، لتشمل كل الموجودات مما يؤكد أن العلم فى الإسلام يتناول كل موجود. وقولَه سبحانه : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقتضى أن بعض الناس يعلمون، وهم الذين اختصم الله بالعلم .

قال الأستاذ العقاد: (العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السموات والأرض وما

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم ٣٦

(٢) سورة النور : آية رقم ٢٤

(٣) الشرائح جمع شريحة وهى قطعة اللحم . وأصل الشرح، كشف الغامض وتفسيره، مختار الصحاح، ص٣٣، ومنه أخذ علم التشريح فى الإنسان لأنه يكشف عن غامض فى انتهاء حياة الإنسان أو المخفى فى خلايا الجسم من الفيروسات لوصف العلاج.

(٤) سورة الذريات : آية رقم ٢١

(٥) سورة غافر : الآية رقم ٥٧ .

خلق من شيء ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون سواء كان ذا حياة أو غير حياة[١] .

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[٢] وبناء على هذا فقد ثبت بالنصوص القطعية أن الله ﷻ فتح الآفاق الكونية، والآفاق الإنسانية، ليبلغ العلماء فيها مبلغا يعود في النهاية بالنفع على الإنسان.

لكن هل نصوص القرآن والسنة، تتوقف عند لفت انتباه العلماء إلى الآفاق، بحيث يقتصر دورهم على مجرد العلم التقليدي .أم أن نصوصهما تحتمل توجيه العلماء إلى الجديد في العلم الكوني، والعلم الإنساني للدخول في ثورة علمية وتكنولوجية، لإحداث طفرة قوية في علم الصناعة، وعلم الفضاء والعلم الإنساني.

أقـــول بكل ثقة: إن نصوص القرآن والسنة، تحمل إشارات ورموز تحض على النهضة العلمية، والتقنية الحديثة، إما صراحة[٣]، أو ضمنا[٤] بناء على أن الخطاب عن العلم الاستقرائي في القرآن الكريم والسنة، يرتبط بالآفاق الكونية والإنسانية .

ولما كان الكون قائما بحاله إلى يوم الدين، لأن يمسك السموات والأرض أن تزولا[٥]، إلى يوم تتبدل الأرض غير الأرض والسموات[٦] ولما كان بث النسل مستمرا. إلى يوم، أن يرث الله الأرض ومن عليها[٧]

---

(١) التفكير فريضة إسلامية، ص٥٧

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٥

(٣) كقوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ سورة طه : الآية رقم ١١٤ .

(٤) كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الإسراء الاية ٨٥ .

(٥) قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ سورة فاطر ٤١ .

(٦) لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ سورة إبراهيم :٤٨

(٧) لقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ سورة النساء :١

أقول : لما كان ذلك كذلك. فإن الآفاق الكونية، والإنسانية ستظل مفتوحة للولوج فيها .طلبا للنفع الدائم، ولن يؤتى هذا النفع ثمرته المرجوة إلا من خلال التقدم فى العلم،والاستزادة منه، وفقا لآليات كل عصر . وقد أكد هذا قولَه تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١) .

ففي الآية إشارة إلى أن كنوز العلم، وأسراره، لا تتناهى عند الله ﷻ فليطلبها أهل كل زمان بما هيأ الله لهم فيه من مقومات العلم. ومنها الدقة فى الصنعة للوصول للتقنية الحديثة، اتباعا لمنهج الإتقان الذى قام عليه بناء الكون ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(٢).

وجاءت السنة، لتعلن أن التعلق بالعلم للزيادة، فرض على كل مسلم ومسلمة . ففى حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)(٣). وقال (لا ينال المرء عالماً ما طلب العلم) مع العلم بأنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن القرآن الكريم كتاب الله للعالمين، إنما نزل للإعجاز والهداية فلا يظن أن الغرض من الاستدلال بآياته على العلم، أننا نخضعها للبحث والتجارب لنتأكد من صدقها أو عدمه

بالقطع لا، وحاشا لله فإن آيات القرآن الكريم وحى إلهى لا يخضع لميزان البشر وإنما نأخذ منها الضوء الأخضر للتعرف على الحقائق العلمية، على أن يكون ذلك وفق ضوابط المنهج العلمى فى القرآن الكريم، بأن يقوم على الصدق والنفع، لا على الكذب والفساد. على التعمير والبناء، لا على التخريب والدمار. على خدمة الدين، لا على نقضه .

ومن هذا المنطق فإننا نقرر أن نصوص القرآن والسنة، تشتمل على

---

(١) سور ة طه : آية رقم ١١٤

(٢) سورة النمل : الآية رقم ٨٨ .

(٣) فيض القدير للمنياوى مع الجامع الصغير للسيوطى – لبنان – بيروت – دار المعرفة، جزء ٤، صفحة ٣٤١ ، ٣٤٢

إيحاءات وإشارات، علمية تعطى دفعة قوية فى مجال البحث العلمى وتطوير العلوم للنهوض بركب العصر، لاشتمالها على منهج التأمل و عدد الحجج للترقى فى مدارج العلم وفقا للمعطيات الآتية:

١- التأمل وتتبع المعارف العلمية :

تشير الآيات القرآنية إلى أن الباحث عن الحقيقة العلمية لابد أن يعتمد على الأمل، وتتبع المعارف العلمية والانتقال من مرحلة إلى مرحلة معتمدا على سلامة الفروض والمقدمات الصحيحة . أشار ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[1] فإن اتبع الباحث هذا المنهج وتقصى الحقائق فيه كشف الله له من العلم ما لم يكشفه لغيره . لأنه أعمل العقل، وفتح آفاقا جديدة للعلم بعيدا عن التقليد الأعمى والتعصب للماضي. تجد ذلك أيضا فى عرض القرآن الكريم لمنهج التأمل وإدراك الحقيقة عن نبى الله إبراهيم عليه السلام .

أقرأ معى إن شئت قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]

وهكذا بالتأمل وتقصى الحقائق الكونية أدرك سيدنا إبراهيم عليه السلام اليقين وهو وحدانية الله تعالى، وكانت غايته عليه السلام من هذه المسلمات أن تكون

---

(١) سورة الغاشية : آية رقم ١٧- ٢٠

(٢) سورة الأنعام : ٧٦ - ٧٩ .

حجته فى رفض الباطل الذى كان عليه آباؤه وقومه قائمة على الاستدلال للوصول إلى الحقيقة . كما فى قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ وقوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، وهنا كافأه الله ﷻ بأن كشف له ما لم يكشفه لغيره فقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[2]

وفى هذا إشارة إلى أن الله ﷻ يعطى سلطان العلم فى ملكوت السموات والأرض للجادلين الباحثين عن الحقيقة لخدمة الدين والدنيا .

٣- إعلاء القرآن الكريم لشأن القلم والكتابة باعتبارهما أداتي التعلم وتثبيت العلم وتدوينه.

فمن المعلوم أن مراحل البحوث العلمية والتجارب المعملية، إنما تقوم على تدوين المعلومات وخطها، سواء كان بالوسائل التقليدية، أو بآليات العصر لصيانتها من التلف أو الضياع . وحفظها فى الذاكرة لاستدعائها وقت الحاجة، ووضعها فى موضعها المناسب، بحيث تكون جاهزة وقت رصد النتائج .

ولما كان القلم والكتابة يلعبان الدور الرئيسى فى تدوين العلم ونشره

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٧٤
(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٧٥

فى الناس فقد جاء حديث القرآن عنهما حديث تعظيم وارتقاء فى معرض القسم وبث رسالة الإسلام للعالمين . مما يدل على اهتمام القرآن الكريم بأدوات العلم على أى وجه كانت .

فقال تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[١]

قال جماعة : النون . لوح من نور، وقال آخرون : ن . الدواة .

لحديث مالك بن أنس عن أبى هريرة قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما خلق الله. القلم، ثم خلق النون وهى الدواة . ذلك قولَه تعالى: ﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾[٢]، وفى لفظ الترمذى عن عبادة بن صامت قال: " سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال لَه : أكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد[٣] .

فهذا إشارة إلى وظيفة القلم من أجل الوظائف، وهى خط العلوم التى تقوم عليها وبها، حياة الناس إلى يوم الدين.

أما قولَه تعالى: ﴿ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ أى ما يكتبه الناس ويتفاهمون به فى العمل والحفظ، من سطرت الكتاب سطرا أى كتبته[٤]

وفى موضع آخر قال سبحانه: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[٥] .

فقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ بعد قولَه ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾ يوحى بأن القلم مطية لنقل الإنسان مما لم يعلم إلى ما يعلم، مما يشير إلى أنه أداة لتطور العلم من جيل إلى جيل .

---

(١) سورة القلم : آية رقم ١

(٢) تفسير القرطبى، جزء١٠، صفحة٦٩٥١

(٣) سنن الترمذى، جزء ٥، صفحة ٤٢٤ .

(٤) المصباح المنير، صفحة ٢٧٦

(٥) سورة العلق : آية رقم (٣-٥)

وتعالى ﴿ قتادة : القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم[١] .

فكان من كرمه سبحانه، أن أعان الإنسان على التعلم والفهم، وهو ما أشار إليه قولَه تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ مما يعطى للعلماء الثقة فى أن الله ﷻ من وراء علمهم محيط، يكشف لهم مفاتيح النفاذ، إلى أقطار السموات والأرض .

ومن الملاحظ أن التعليم بالقلم، والخط فى الآيات جاء مطلقاً غير مقيد بنوع خاص من أنواع العلوم، حتى لا يظن ظان أن المراد بالعلم المكتسب من القلم والخط، هو العلم الشرعي فقط، ويركن إلى ذلك، تاركاً ميادين العلم الأخرى لغير المسلمين .

فجاء العلم بالقلم والكتابة مطلقاً، ليفتح الباب لكل العلوم التى أسبغ الله معرفتها على الإنسان . سواء كانت علوما نظرية أو علوماً تجريبية، أو علوما استقرائية . مما يدفع بالعلماء المسلمين، أن ينهضوا بأبحاثهم للدخول فى عصر الفضاء والتكنولوجيا والشرائح الإنسانية .

٣- تسخير آليات الكون لنفع الإنسان :

من الحقائق القرآنية، ديمومة تسخير[٢] آليات الكون وفتح آفاقها للإنسان للانتفاع بها فى المجالات التى ذللها الله لخدمة الدين والدنيا . بيد أن التقدم فى علومها مرهون بنباهة العلماء، وتفعيل آليات التقدم العلمى

---

(١) تفسير القرطبى، جزء١، صفحة ٧٤٥٩

(٢) التسخير سياقة الشىء إلى الغرض المختص قهراً من سخر الله الإبل أو الشمس، أى ذللها سهلها لما سخرت له. وهكذا فى كل التسخير فإن الله سخر الكواكب، أى قيضها للفعل الذى فيه منفعة للأنسان . أما السخرى: فهو الذى يتسخر بإرادته بالتفاعل مع الغير . ومنه قوله تعالى : ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾(سورة الزخرف :٣٢) المفردات فى غريب القرآن، ص ٢٢٧، والمصباح المنير،ص٢٦٩

بالبحث والتجارب المعملية وبناء القواعد العلمية الحديثة، إعمالا للقاعدة النبوية : " لا يزال المرء عالما ما طلب العلم"(١) .

وقد احتوى القرآن الكريم على نماذج من الآيات الكونية التى فتحت أبواب العلم للإنسان لإخضاع مفردات الكون للبحوث والتجارب للاستفادة من منافعها بقدر ما أذن الله، وما أعطى من سلطان، سواء كان النفع لخدمة الدين، أو الخدمة الدنيا، من ذلك.

١- قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

وقال سبحانه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾(٣)

وقال ﷻ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٤). وقال جل ذكره: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٥)

تدل الآيات على أن الأجرام السماوية قد ذللها الله لخدمة الإنسان للانتفاع بها وعبر سبحانه عن ذلك بقولـــه : " لكم " أى لتنتفعوا بها جميعاً لأنها خلقت من أجلكم، وسخرت للإنعام عليكم، دون حصر لوجوه المنفعة للدلالة على سعة فضل الله فى فتح الآفاق لتطور العلم جيلا بعد جيل .

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سورة يونس آية رقم ٥
(٣) سورة إبراهيم : آية رقم ٣٣
(٤) سورة النحل : آية رقم ١٢
(٥) سورة البقرة : آية رقم ١٦٤ .

والتعبير بالتسخير لَه مغزى لدى كل لب . فإن من أيقن أن التسخير لهذه الكواكب المقهورة بما تحمل من آثار كونية أبدى النفع لخضوعها لتدبير الحكيم الخبير، وتقدير العزيز العليم، أدرك أن الله سبحانه، سواها على هذه الحال إلى يوم القيامة، وأحكم صنعها بإتقان لتكون على وفق مصالح هذا العالم . أخذاً من قولَه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[١] وقولَه ﷻ : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢].

أى عالم بجميع المعلومات، والتكوينات، وكيف ومتى تكون لازمة لمصالح العباد، فى كل زمان، ومكان، ويعلمه هذا وتقديره سبحانه، يفتح برحمته أبواب العلم للنبهاء من عباده، وذوى العقول المدركة المتأملة . للولوج فى أقطار السموات والأرض للنهوض بالطفرات[٣] العلمية المتسارعة .أخذاً من قولَه تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٤] فالآية تعطى إيحاء بالابتكار، والتقدم فى علوم العصر، لأن الحكمة إصابة الحق بالعلم، والعقل، ولا يعنى هذا سوى الإتقان فى البحث والإصابة فى النتائج من قولك : أحكمت الشيء، أتقنته، فاستحكم، أى صار متقنا[٥] والإتقان فى العلم هو أحد مقومات التقدم العلمى وتطوير الصناعة لمواكبة العصر .

قال الأصفهانى : الحكمة من الله هي معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات[٦]

---

(١) سورة الأنعام: آية رقم ٩٦ .

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٢٩

(٣) أصل الطفر الوثوب فى ارتفاع، المصباح المنير، ص٣٧٤، والمراد هنا ملاحقة التطورات العلمية للتنافس والمسارعة للسبق فيها .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩

(٥) المصباح المنير، ص١٤٥

(٦) المفردات فى غريب القرآن، ص ١٢٨

قال الإمام الرازى فى مجمل هذه الآيات: (أن انتفاع الخلق بضوء الشمس وبنور القمر عظيم، فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل، وبحركة الشمس تنفصل السنة إلا الفصول الأربعة، وبحركة القمر تتوالى الشهور وتتمايز، وبسبب الحركة اليومية يحصل الليل والنهار، فالنهار يكون زمنا للكسب والمعيشة، والليل للسكون والراحة مما يدل على كثرة رحمة الله بالخلق وعظيم عنايته بهم[١] .

وتذييل الآيات بقوله تعالى: ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وقوله ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ فمغزاه واضح، أنه ربط بين بلوغ الآفاق فى المسخرات الكونية، وحيزها بحيث يجرى كل كوكب فى مستقر خاص به تنويها لآثارها ليتعلق الناس بمنافعها لخاصية كل كوكب وعطاء الله فيه مما يحقق تطوير العلم فى المجالات المختلفة قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢].

مما يدل على أن نبوغ أهل الذكر فى العلم وترقيهم فيه إنما هو بما أودعه الله ﷻ من ملكات ذهنية تجعلهم قادرين على الخلق والابتكار وكشف لهم من العلم ما لم يكشفه لغيرهم لينفذوا به إلى أقطار الأرض والسموات .

٤- التمكين للإنسان فى الأرض :

من الحقائق القرآنية للتقدم العمى، أن الله مكن للإنسان فى الأرض إلى يوم القيامة، لضمان العيش والاستقرار فيها ولن يبلغ الإنسان مأربه فى

---

(١) نفس المرجع السابق

(٢) سورة يس : آية رقم ٣٨- ٣٩ .

أسباب التمكين فى الأرض إلا بتفجير الطاقات الذهنية وإخضاع مكنونات الله فى الأرض للبحوث المعملية فى علوم الأحياء والكيمياء وطبقات الأرض .

ولذلك جاء مصطلح التمكين فى الأرض فى القرآن الكريم شاملا لكل جوانب النفع دينا ودنيا، لربط المعاش بالمعاد . من ذلك :

أ- قولَه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ[١] فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾[٢]

والتمكين هنا أن الله جعل الأرض موطناً للإنسان وهيأ لَه من أسباب القدرة ما يمكنه من التسيد عليها للانتفاع بخيراتها، لعله يتذكر ويشكر . وأعانه على ذلك بأنه ذرأ فيه قوى التمكين فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[٣] .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً ﴾[٤].مما يشير إلى أن التمكين فى الأرض يقوم على قوى العلم . للدلالة على أن كليهما لا غناء لَه عن الآخر .

ب- قولَه سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٥] .

أى جعل الأرض لينة سهلة، للضرب فيها، وطرق مسلكها، لبلوغ أقصى نفع منها، عن طريق العلوم الأرضية، كعلم طبقات الأرض، وعلم الحفريات لاستخراج المعادن، وعلم جغرافيا الأرض أخذا من قولَه تعالى:

---

(١) أصل المكان، الموضع الحادى للشىء . والمراد هنا الموطن الذى هيأه الله لقرار الإنسان، وعبر بالتمكين، ليعطى معنى القوة والسيطرة للإنسان على مسخرات الله تعالى، باعتباره سيدا عليها يقال: مكنته لَه فتمكن ومنه تعالى : (فى قرار مكين) المؤمن.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٠.

(٣) سورة السجدة آية رقم ٩ .

(٤) سورة الأحقاف : آية ٢٦ .

(٥) سورة الملك : آية رقم ١٥ .

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[١]

٥- عدم تناهى العلم :

كذلك من أقوى الحقائق القرآنية للدلالة على الدخول فى النهضة العلمية والتقدم التكنولوجي احتضان القرآن نظرية عدم تناهى العلم . وأن الحاصل منه بجانب المخفى قليل . مما يشحذ الهمم لدى العلماء أن ينهضوا لكشف المخفى من العلم . فيبلغوا به الآفاق، ويمتطوا به ركب الحضارة، وهو ما أتاحه لهم منهج القرآن الكريم فى العلم .

والأصل فى نظرية عدم تناهى العلم . قولَه تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] وقولَه سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٣] وقولَه ﷻ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[٤] ففى هذا إشارة إلى أن مصدر جميع العلوم هو الله ﷻ فما شاء اختصه لنفسه، أرجع أمره إليه لا يطلع عليه أحدًا كقولـه تعالى فى صدر الآية ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[٥] أى علمها عند ربى . وبهذه الإجابة حسمت الآية مسألة العلم بالروح بأن الله ﷻ اختصه لنفسه.

أما شاء الله منحه لعباده من العلم فهو موضع الطلب للاستزادة، ويسمى اللامتناهى وهو فى خزائنه يؤتيه من يشاء بقدر ما يشاء، ورمز إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٦]، وعلى ذلك . فمهما أوتى الإنسان من علم فهو قليل، أو من القليل، بالنسبة لمخزون اللامتناهى، وهو

---

(١) سورة الذريات : آية رقم ٢٠ .
(٢) سورة الإسراء :آية رقم ٨٥
(٣) سورة طه : آية رقم ١١٤
(٤) سورة النساء : آية رقم ١١٣
(٥) سورة الإسراء : ٨٥
(٦) سورة طه : آية رقم ١١٤

ما نبهت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١]، لأنه إذا كان باب الزيادة فى العلم مفتوحا للنهل منه بالبحث والطلب، فإنه يعنى أن المكنون من العلم عند الله كثير لا يتناهى، مما يدل على أن العلوم الحاصلة عند الناس قليلة جدا بالنسبة إلى علم الله، بالنسبة لحقائق الأشياء .

وإذا تأملت المغزى من وراء عدم المتناهى فى العلم المشار إليه ضمنا فى قولَه تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فسوف تجده ضرورة للتوافق بين الحقائق القرآنية . وأداة لتفعيل النسق القرآنى فى الربط بين العلم ومسخرات الكون المفتوح . ذلك أن المعقولات الكونية فى العالم العلوى[٢] والمعقولات الكونية فى العالم السفلي[٣] وجميعها بحركاتها، جهاتها، ومشاهدها المتكررة لانهاية لها البتة لإمساك الله لها بحالها الذى استقامت عليه

إلى يوم الدين . أخذا من قولَه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[٤]

ولما كانت هذه المعقولات العلوية والسفلية موضع النفع والخيرات ومناط التأمل والإدراك، معتبر ذوى العقول والألباب، وأن أكثر مصالح هذا العالم مربوطة بهما احتاجت إلى ما يكشف أسرارها ومن يبحث فى آثارها ومنافعها، ليس إلا للعلم والعلماء، فكان بالضرورة ألا يتناهى العلم، كما لا يتناهى الكون[٥] لتدوم الاستفادة بمنافع هذه المعقولات الكونية جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم ٨٥

(٢) المعقولات أى محل التدبر وإعمال العقل فى آياتها، وهى فى العالم العلوى، الشمس والقمر والنجوم والرياح، والسحاب، وهكذا

(٣) الكونيات السفلية هى الأرض بطبقاتها، وجبالها، ومعادنها، والبحار، والأنهار، والمحيطات .

(٤) سورة فاطر : آية رقم ٤١

(٥) الكون الوجود والحصول، مأخوذ من كون الله الشيء، فكان أى أوجد . الصباح المنير ص٥٤٥

فكان الحاصل من المعارف، والعلوم فى كل عصر، هو القدر المتناهى، أما المخفى منه أى التى لم تصل إليها العلماء ولم يتعرفوا على أسرارها فهى بالنسبة للأولى غير متناهية .

والمتناهى بجانب غير المتناهى قليل فى كثير . وهذا الكثير الذى لا يتناهى هو ما يرغب الله فى المزيد منه بقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[١] مما يدل على أن العلم لانهاية لقدره ولا لعدده ولا مدته .

وبقدر ما يجتهد العلماء يأتيهم سلطان الله فى العلم، فيعلمهم مالم يعلموا، أخذا من قولَه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[٢] ويبقى الكثير من العلم المكنون[٣] موضع الاستزادة لمن يأتى بعدهم جيلا بعد جيل. مما يدل على أن باب العلم مفتوح غير متناه ويقبل التجديد والتطوير وفق أدوات العصر، لأن عطاء الله فى العلم يأتى وفق حاجة الإنسان فى كل عصر والانتقال بأدواته من حال إلى حال، استشرافا للمستقبل ودفعا لكل جيل من العلماء أن يعيشوا العصر بكل أدواته، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٤] فصدرت الآية بحرف السين فى قولَه تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ للدلالة على الكشف العلمى فى المستقبل مما يدل على أن عطاء العلم غير متناه، ما دامت الحياة، وما وجدت السموات والأرض . وهذا يعنى الإذن بالدخول فى عصر التكنولوجيا والحقائق العلمية فى شتى المجالات، سواء بالابتكار أو نقل الخبرة .

---

(١) سورة طه : آية رقم ١١٤

(٢) سورة النساء : آية رقم ١١٣

(٣) المكنون، أى المستور، من كنت الشيء، جعلته فى كن، أى سترته، وأخفيته، والكن ما يحفظ فيه الشيء. ومن ذلك قولَه تعالى: (كأنهن بيض مكنون سورة الصافات: آية رقم ٤٩ والكنان: الغطاء الذى يكن فيه الشيء، والجمع أكنه، ومنه قولَه تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه) سورة الإسراء : آية رقم ٤٦ المفردات فى غريب القرآن، ص ٤٤٢، المصباح المنير، ص٥٤٢

(٤) سورة فصلت : آية رقم ٥٣

٦- تعدد المعارف والعلوم:

من أبرز الحقائق القرآنية جملة المعارف والعلوم التى حوتها النصوص القرآنية وأشارت فى مضمونها إلى تنوع العلوم وتميزها[١] تنبها لمراعاة التخصص الدقيق، وهو أحدث منهج فى العلوم المعاصرة سواء كانت علوما طبيعية تجريبية أو علوما إنسانيا . وقد أشار القرآن الكريم فى أكثر من آية، إلى تعدد المعارف وتنوع العلوم ومنها العلوم الكونية والتجريبية التى كشفت عنها النهضة العلمية الحديثة .

ومن هذه الآيات :

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٢]

٢- وقال سبحانه: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٣]

٣- وقال ﷻ: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[٤]

ففى معنى الآيات قال القرطبي: (ثم علا سبحانه إلى سبحانه إلى السموات السبع فسواهن وحبكهن، وأجرى فى بعضهن شمسه وقمره ونجومه، وقدر فى كل واحدة منهن ما قدر من خلقه)[٥]

---

(١) تميز الشيء، لنفصل عن غيره، من مميزات الأشياء إذا فرقتها بعد المعرفة بها . المصباح المنير ص٥٨٧

(٢) سورة البقرة : آية رقم ١٦٤

(٣) سورة فاطر :آية رقم ١٣

(٤) سورة يس : آية رقم ٣٩

(٥) تفسير القرطبى، جزء١، صفحة ٢٩٩، طبعة دار الغد العربى

وقد أشار ﷻ إلى أثارها ليتعلق الناس بمنافعها سماءً وأرضاً وبحراً، لن يتأتى لهم ذلك إلا بالولوج فى أقطار السموات والأرض، بسلطان العلم تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[١] للاستفادة بمسخرات أرضاً وسماءً، خدمة للدين والدنيا . ذلك أن الله ﷻ كشف لنا بتقديره فى الآيات الكونية أنه دبر أمرها وفصلها، وصرف اتجاهاتها وحدد مهامها وقهرها لتدور فى أفلاكها وفقا لما ينفع الناس كما فى قولـه تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[٢]، هى مشاهد متكررة لا تتخلف، ولا يمتنع منها جرم عما حدد لـه من مهام . وهو ما يدفع بالعلماء أن ينهضوا بأبحاثهم للدخول فى عصر الفضاء والتكنولوجيا تأسيساً على إذن الله تعالى لهم بالنفاذ العلمى فى الكـون كل فى مجال تخصصه سواء فى علوم الفضاء أو علوم الأرض . أو علوم الفلك . قابلة للحركة، وكل واحدة من حركاتها مختصة بكيفية معينة فى البطء والسـرعة لتكون صالحة لأوجه الانتفاع بآثارها.

ودل على ذلك قولـه تعالى: ﴿ دَآئِبَيْنِ ﴾[٣] أى أنهما يعملان على عادة مضطرده فى سيرهما، وإثارتهما فى تعاقـب اللـيل والنـهار، وكل يجرى فى منزلـه بتقدير العزيز القهـار ولولاهما لاختلت مصالح العالم بالكلية[٤].

ولذلك فوجودهما من الضروريات لتعلق منافع الناس بآثارهما وابتناء مصالح الدين على حركة كل منهما فى مداره الخاص به. فلولا الشمس حصلت الفصول الأربعة، وما حددت مواقيت الصلاة ولولا القمر، ما ضبطت الآجال، وما قدرت عدة الشهور، وما ضبطت العبادات، والأعياد. فدل على أن الله تعالى ساقهما لمنافع الإنسان .

---

(١) سورة الرحمن : آية رقم ٣٣

(٢) سورة إبراهيم : آية رقم ٣٣

(٣) الدأب . إدامة السير أو هى العادة المستمرة دائما مع حالى . المفردات فى غريب القرآن ص١٧٤

(٤) الرازى جزء ٩، صفحة ٣٤٩

المبحث الثالث

الجزء التطبيقى (الأقمار الصناعية)

obeikan.com

obeikandl.com

المبحث الثالث

الجزء التطبيقى (الأقمار الصناعية)

إذا كان الله ﷻ قد ذكر فى أكثر من آية أحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار، كيفية حركة الشمس والقمر، وطريقة تفتيت السحاب لإنزال المطر لإحياء الأرض الموات، وكررها فى أكثر من سورة فإنما ليشد الانتباه إلى منافعها وآثارها إغراءً للعلماء للولوج فى أقطار السموات والأرض للاستزادة من عطاء الله فيها، ببلوغ قدر من التقدم العلمى، والأخذ بالتقنية الحديثة للانتفاع بآثارها .

ولذلك قال الرازى : (فلو لم يكن البحث عنها، والتأمل فى أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها[1] مما يلقى عبء النفاذ إليها ونقل منافعها لمصالح الدين والدنيا،على العلماء لأن منافعها مستمرة ودائمة لكينونة التسخير إلى يوم الدين، والعلماء هم أقدر الناس على كشف أسرار الكون بما أتاهم الله من نشاط فى العقل والبحث .

ومن خلال الإشارات العلمية فى الآيات الكونية التى فضلها القرآن الكريم يمكن للعلماء أن يدركوا أكثر من علم فى مجال الفضاء الكونى يتصل نفعها بحياة الناس مباشرة لقيامها بخدمة علوم الدين والدنيا معا .

وأتناول فى هذا المبحث نموذجا من آليات العصر المرتبطة بالكون العلوى يجرى تنفيذها فى بعض الدول الإسلامية والعربية لمصلحة الدين والدنيا .

وأخص بذلك علم الأقمار الصناعية : وهى تكنولوجيا حديثة فى عالم الفضاء والمعلومات، تمثل قاعدة للانطلاق نحو الآفاق . وتختلف

(*) تفسير الرازى، جزء٧، صفحة ٥٤

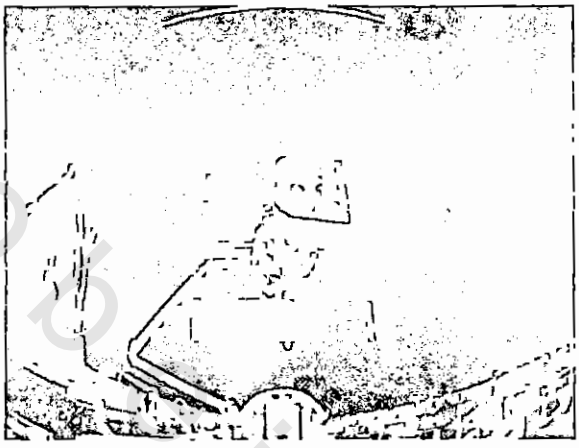

استخدامات الأقمار الصناعية باختلاف الغرض من إنشائها. فقد تكون عامة، وقد تكون متخصصة ففى مجال الأقمار الصناعية العامة. قد نجحت مصر فى إطلاق قمرين صناعيين فدخلت بهما مجال الاتصال وتكنولوجيا نقل المعلومات)[١] لمحاكاة الثقافات الأخرى، وإعطاء الفرصة لإستحداث قنوات فضائية، متعددة الأغراض، للدفاع عن الهوية العربية والذاتية الإسلامية .

والقمر الصناعى الإعلامي يقوم على أساس تكنولوجيا الأنصال الفورى لبث المعلومات والمواد الإعلامية، على شاشة التليفزيون وشاشة الإنترنت مما يسهل الاتصال والتلاقى بين الثقافات والحضارات، وإظهار ما لم يكن معلوما .

ولعل ما يرمز من آيات القرآن إلى إرسال المعلومة غير المدركة من مكان بعيه قولَه تعالى: ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[٢] والمعنى أن الكافرين يقولون عن الآخرة مالا يعلمون وهم فى مكان بعيد فى الدنيا أو

---

(١) أطلقت مصر القمرين، نايل سات ١٠١، ونايل سات ١٠٢، وبهما دخلت مصر عصر الفضاء، وأصبحت العضو رقم ٦٠ فى نادى الفضاء الدولى، ومهمة القمرين كما ذكر السيد وزير الإعلام المصرى تتمثل فى بث الخدمات الإعلامية وتأمين وسائل الاتصال بشبكة وطنية والسيطرة على الحيز الفضائى المصرى حتى يمكن المحافظة على الهوية المصرية والذاتية العربية والإسلامية ــ جريدة الأهرام المصرية ٢٠٠٠/٨/١٩ صفحة ١٢، ٢٠٠٠/٩/١٣ صفحة ٣ .

(٢) سورة سبأ : آية رقم ٥٣

يقولون مالا يدركون ببصرهم وبصيرتهم[١]

لقذف هو الرمى، وقيل هو السرعة من تقاذف الفرس فى عدوه أى أسرع .

والغيب . مصدر بطلق على ما يستتر عن العين . وعلى ماخفى من الأمور قبل العلم بها[٢] ومن هذا المعنى يمكن تصور فكرة القمر الصناعى فإن بث المعلومة من القمر الصناعى هو نقلها من مكان بعيد فى أقصى سرعة لتصل فى نفس اللحظة لمن كانت عنه غائبة ومن قبل المسافة بين القمر الصناعى والأجهزة الأرضية المتلقية يدل على أن مهمة القمر تحريك الغيب من الصور، والمعلومات من مكان بعيد ليكون حاضراً للمستفيد . فكزنه ينقل يما يغيب عن المشاهد عن بعد .

ولعل ما يشير إلى ارتياد السماء بالعلم الحديث ودخول ثورة التكنولوجيا فى علوم الفلك والاتصال قولة تعالى ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[٣] فالنفاذ فى الآية على رأى ابن عباس، هو النفاذ العلمى المدفوع بالتأمل العقلى، لمعرفة وعلم ما فى السموات والأرض من منافع وآثار، ولن يكون ذلك إلا بإذن من الله، لأنه يملك السموات والأرض وما بينهما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤]

قال ابن عباس ﷺ : (إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض

---

(١) تفسير القرطبى جزء٨، صفحة ٥٥٨٨ تفسير الرازى ١٣صفحة ٢٠

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٦٦

(٣) سورة الرحمن : آية رقم ٣٣

(٤) سورة المائدة : آية رقم ١٧

فاعلموه ولن تعلموه إلا بسلطان، أى بينة من الله تعالى)[١]

والله ﷻ لا يمنع سلطانه عمن أخلص فى علمه فيأخذه إلى مدارج العلم للوصول إلى ما تناهى إليه قدرته فى البحث والابتكار .

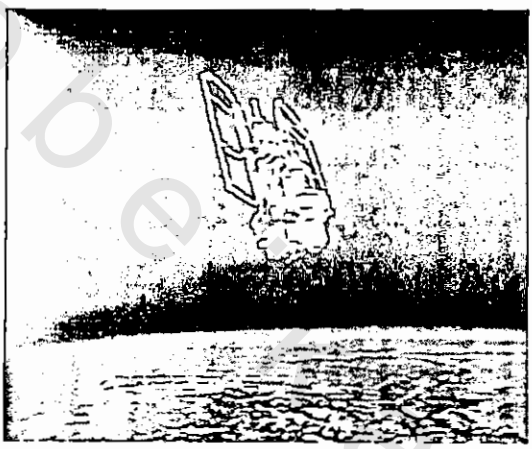

أما فى مجال الأقمار الصناعية المتخصصة فيتطلع العالم الإسلامى إلى القمر الصناع الإسلامى مقترح دار الإفتاء المصرية، ليكون قمرا صناعيا متخصصا لخدمة الدين، عن طريق ضبط مطالع الشهور، لتوحيد المسلمين فى العبادات، وتحديد المواقيت والأعياد بدقة وفقا للخطاب الشرعى الوضعى بجعل الشيء سببا فى الشيء[٢] كقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾[٣] وقولَه سبحانه: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٤] .

---

(١) القرطبى جزء ٩ صفحة ٦٥٧

(٢) الحكم الوضعي هو ما اقتضى وضع شئ سبباً لشيء، أو شرطا لَه أو مانعاً . فمثال وضع الشيء سبب قولَه تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) (سورة الإسراء : ٧٨) ومثال وضع الشيء شرطا كقولة تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (سورة آ ل عمران: آية رقم ٩٧) فاستطاعة السبيل شرط يجاب الحجة . ومثال المانع : ليس للقاتل ميراث، الحكم الوضعى فى :المستصفى: ٩٣/١: من علم الأصول للإمام أبى حامد محمد بن الغزالى، توفى ٥٠٥هـ، طبعة المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة ١، ١٣٢٢هـ، الغيث المانع فى شرح جمع الجوامع: ٩٣/١ – لمحمد بن أحمد المحلى المصرى، المتوفى ٨٦٤ هـ، طبع مع جمع الجوامع . ورضة الناظر ص٣٠ : وجنة الناظر :د/عبد العزيز السعيد، طبعة جامعة الإمام محمد بن مسعود – السعودية وسلم الوصول : ص٣٣ : شرح منهاج الوصول – للشيخ محمد بخيت المطيعى – طبعة السلفية . وشرح الكوكب المنير : ٤٣٤/١ المسمى بمختصر التحرير فى أصول الحنفية – الفتوحى – تقى الدين بن البقاء شهاب الدين أبى العباس أحمد بن عبد العزيز بن على بن إبراهيم العباس أحمد بن عبد العزيز بن على بن إبراهيم – طبعة السنة المحمدية – تحقيق محمد حامد الفقى سنة ١٣٧٢هـ.

(٣) سورة الإسراء : آية رقم ٧٨ .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ١٨٥ .

وقولَه ﷻ : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[١]

ومهمة القمر الصناعى الإسلامي، كما أوضحها فضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل مفتى الديار المصرية سابقا، ومقترح المشروع هى :

مساعدة الدول الإسلامية على الوصول إلى لرؤية الشرعية الحقيقية بالعين المجردة عن طريق المنظار المحمول على القمر الصناعى، حال طيرانه فى سماء الدول الإسلامية من خلال بث صورة الهلال الحقيقية وقت مولده فى كل دولة تشترك فى الأخذ بفكرة المشروع عن طريق شاشة تليفزيونية، أو فاكس أو كليهما معا فتتحقق بذلك الرؤية الشرعية بين جميع الدول الإسلامية فى الليلة الواحدة وإن اختلفت فى فروق التوقيت[٢] فيلزم الصوم جميع المسلمين بناء على هذه الرؤية الجماعية لتحقق السبب عند الجميع وهو شهود الهلال . أخذا من قولَه تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٣] وبذلك تدخل الآليات المعاصرة مجال الإحكام الشرعية فتعين على آداء العبادة فى زمن واحد لجميع المسلمين مما يعمل على توحيد الأمة .

وإذا كان القمر الصناعى الإسلامى يطلع فى المقام الأول بكشف صورة الهلال مولده ونقلها فى نفس اللحظة إلى الأجهزة المتلقية لتحقيق الرؤية الشرعية لجميع الدول الإسلامية فى زمن واحد، فإنه إنما يعتمد على العلم بحركة الشمس ومنازل القمر فيما يسمى بعلم الفلك المرتبط بالمجموعة الشمسية والقمرية .

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٨٩

(٢) من جلسة فضيلة السفتى أمام الدورة الثامنة للجنة التقويم الهجرى الموحد – جدة - المملكة العربية السعودية، من ٧-١٩٩٨/١١/٩

(٣) سورة البقرة - آية رقم ١٨٥

وقد أشارت لهذا العلم الآيات الكريمة فى قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

فدلت الآيات على أن كوكب من الكواكب الفلكية إنما مدار خاص به لايمكن أن يؤدى مهمته لتكون إلا من خلاله، لأن الله ﷻ سواهن وأحكمهن على وفق مصالح العباد، لتكون سببا للحصول على هذه المصالح، ومنها إدراك الهلال بالآلة، فيما يسمى بالرؤية العلمية القطعية .

وحتى يطمئن العلماء أن الله تعالى سيمكنهم من البلوغ فى هذا العلم وفقا لآليات كل عصر، أشار سبحانه إلى ذلك بقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2]

(١) سورة يونس : آية رقم ٥
(٢) سورة فصلت : آية رقم ٥٣